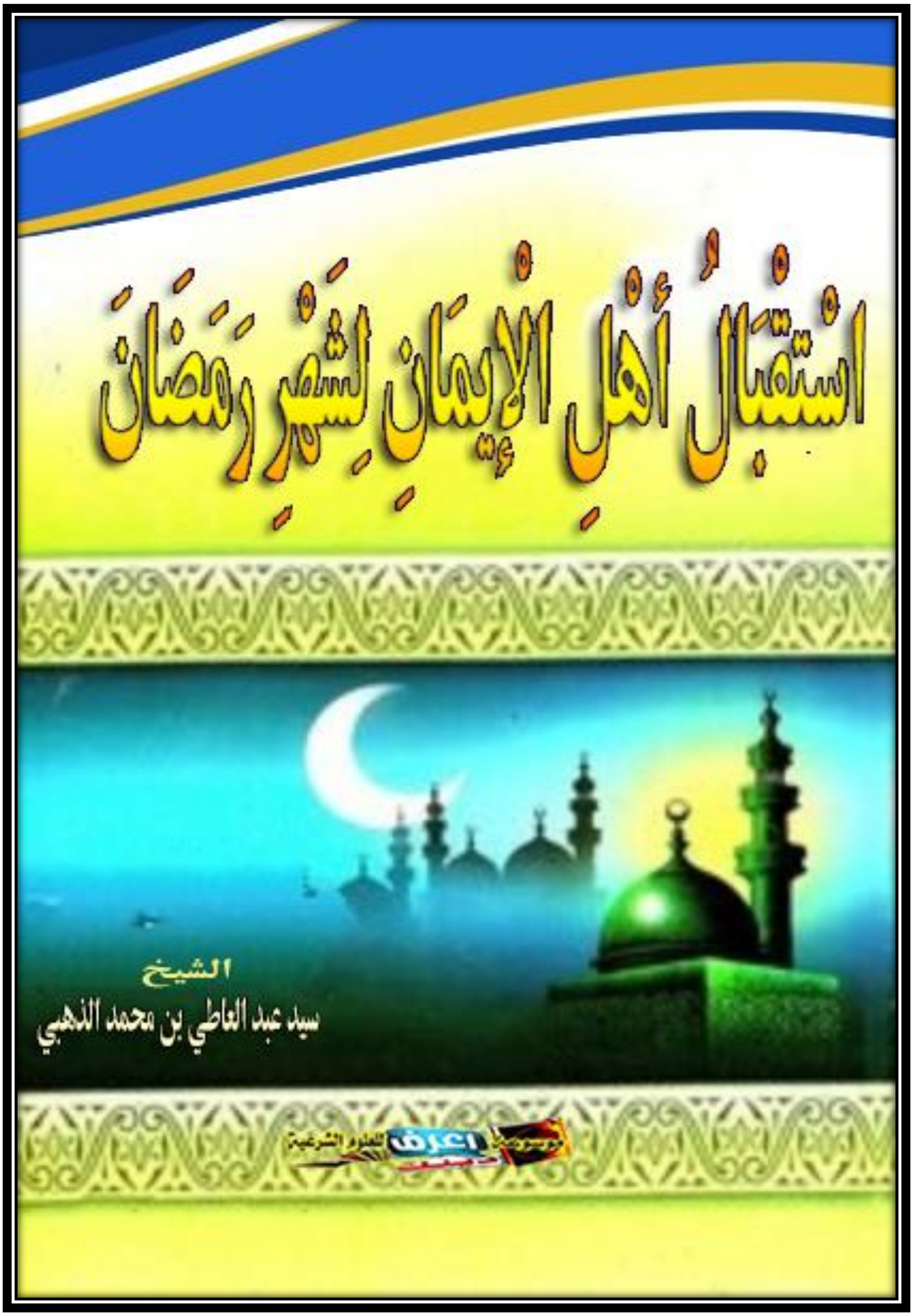

اسْتِقْبَالُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ
الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

استقبال أهل الإيمان لشهر رمضان



الشيخ
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



•{اسْتِقْبَالُ أهْلِ الْإِيمَانِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ}

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ الصِّيَامَ ، وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهِ زَادًا مِنَ التَّقْوَى كُلَّ عَامٍ ، وَأَثَابَ الصَّائِمِينَ عَلَى صَبْرِهِمْ فَأَدْخَلَهُمْ دَارَ السَّلَامِ ، وَسَقَاهُمْ يَوْمَ الْعَطَشِ شَرَابًا طَهُورًا ، وَوَقَاهُمْ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ، وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا فَتَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

وَأَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، يُعِزُّ وَيُذِلُّ ، وَيَهْدِي وَيُضِلُّ ، وَيُحَرِّمُ وَيُحِلُّ أَنْزَلَ كِتَابَهُ فَبَيَّنَ حُجَّتَهُ وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ فَبَلَّغَ رِسَالَتَهُ وَهَدَى الْمُؤْمِنِينَ فَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ فَلِلهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ التَّامَّانِ عَلَى الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَكَشَفَ اللهُ بِهِ الْغُمَّةَ وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ،اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِقْبَالِ أَهْلِ الْإِيمَانِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ،هَذَا الضَّيْفُ الْمُضِيفُ.

•**الشَّهْرُ الَّذِي كَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى وَشَرَّفَهُ بِبِدَايَةِ نُزُولِ الْقُرْآنِ**، وَشَرَّفَ الْمُؤْمِنِينَ بِصِيَامِ أيَّامِهِ وَقِيَامِ لَيَالِيهِ فِي كُلِّ عَامٍ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (البقرة:١٨٥:١٨٣).

•الشَّهْرُ الَّذِي كَانَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يُبَشِّرُ أصْحَابَهُ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِقُدُومِهِ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ النَّسَائيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(١٢٩/٤)وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْألْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ(٥٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–

:{أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيامَهُ ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَ تُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ}.

•**الشَّهْرُ الَّذِي اخْتَصَّهُ اللهُ لِذَاتِهِ**،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٨٠٥)مِنْ حَدِيثِ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–يَقُولُ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ}.

•الشَّهْرُ الَّذِي مَنْ صَامَ نَهَارَهُ وَقَامَ لَيْلَهُ وَخَاصَّةً لَيْلَةَ الْقَدْرِإِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٨٠٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– عَنْ النَّبِيِّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:{ مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ}.

–وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٩٠٤)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ :

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَقُولُ لِرَمَضَانَ:{ مَنْ قَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ }.

•الشَّهْرُ الَّذِي جَعَلَ اللهُ فِيهِ لَيْلَةً مُبَارَكَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فِي الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالطَّاعَاتِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى:

{حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }.(الدُّخان:٦:١).

–وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١)وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ }.(القدر:٥:١).

•الشَّهْرُ الَّذِي تُنَادِي فِيهِ الْمَلَائكُ عَلَى الرَّاجِينَ للخيْرِ بِالْإِقْبَالِ،

وَالرَّاجِينَ للشَّرِّ بِالْإِدْبَارِ،وَللهِ فِيهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ،وَتُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ،وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابِ النَّارِ،وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٦٨٢)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ وَفُتِّحَتْ

أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلُّ لَيْلَةٍ }.

•الشَّهْرُ الَّذِي كَرَّمَ اللهُ صُوَّامَهُ وَقُوَّامَهُ فَجعَلَ لَهُمْ بَابًا خَاصًّا فِي الْجَنَّةِ يُسَمَّى(الرَّيَّان)لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائمُونَ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(١٧٩٧)مِنْ حَدِيثِ سَهْلٍ بْنِ سَعْد السَّاعِدِيِّ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– عَنْ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–قَالَ:{ إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ}.

••فكَيْفَ يَسْتَقْبِلُ أَهْلُ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ؟

••يَسْتَقْبِلُ أَهْلُ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَا يَلِي:



•أَوَّلًا:التَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفَارُ:

فَمِنْ أعْظَمِ مَا تُسْتَقْبَلُ بِهِ مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ التَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفَارُ،

فَالْمُتَدَبِّرُ للقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَجِدُ أنَّ الْجَمِيعَ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ مَدْعُوُّونَ إِلَى التَّوْبَةِ:

–قَالَ اللهُ تَعالَى:{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} .(الزُّمر:٥٤).

–أيْ:وَارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ– أَيُّهَا النَّاسُ– بِالطَّاعَةِ وَالتَّوْبَةِ، وَاخْضَعُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَقَعَ بِكُمْ عِقَابُهُ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُكُمْ أحدٌ مِنْ دُونِ اللهِ.

–وَقَالَ فِي شَأنِ النَّصَارَى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٧٣)أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} .(المائدة:٧٤:٧٣).

–أيْ:لَقَدْ كَفَرَ مِنَ النَّصَارَى مَنْ قَالَ: إنَّ اللهَ مَجْمُوعُ ثَلَاثَةِ أشْيَاء: هِيَ الْأبُ، وَالابْنُ، وَرُوحُ الْقُدُسِ. أمَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى أنَّهُ لَيْسَ للنَّاسِ سِوَى مَعْبُودٍ وَاحِدٍ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَإنْ لَمْ يَنْتَهِ أصْحَابُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ عَنِ افْتِرَائِهِمْ وَكَذِبِهِمْ لَيُصِيبَنَّهُمْ عَذَابٌ مُؤْلِمٌ مُوجِعٌ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِاللهِ.

–ثُمَّ حَرَّضَهُمْ اللهُ تَعَالَى عَلَى التَّوْبَةِ فَقَالَ:{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}أيْ:أفَلَا يَرْجِعُ هَؤُلَاءِ النَّصَارَى إلَى اللهِ تَعَالَى ، وَيَتَبَرَّؤُونَ مِمَّا قَالُوا ، وَيَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ؟ وَاللهُ تَعَالَى مُتَجَاوِزٌ عَنْ ذُنُوبِ التَّائِبِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ.

–وَقَالَ فِي حَقِّ أصْحَابِ الْأخْدُودِ الَّذِينَ حَفَرُوا الحُفَرَ لِتَعْذِيبِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحْرِيقِهِمْ بِالنَّارِ: { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}.(البروج: ١٠).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : {ثُمَّ وَعَدَهُمْ ، وَأوْعَدَهُمْ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ التَّوْبَةَ، فَقَالَ: { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ } أيْ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الْمُحْرِقُ.

قَالَ الْحَسَنُ–رَحِمَهُ اللهُ–:انْظُرُوا إلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، هُمْ قَتَلُوا أوْلِيَاءَهُ وَأهْلَ طَاعَتِهِ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إلَى التَّوْبَةِ}.

–بَلْ إنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَذَّرَ مِنَ الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ فَقَالَ: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.(الزُّمر: ٥٣).

–أيْ:قُلْ –أيُّهَا الرَّسُولُ– لِعِبَادِيَ الَّذِين تَمَادَوْا فِي الْمَعَاصِي، وَأسْرَفُوا عَلَى أنْفُسِهِمْ بِإتْيَانِ مَا تَدْعُوهُمْ إلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ: لَا تَيْئَسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ؛ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِكُمْ، إنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا مَهْمَا كَانَتْ، إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ لِذُنُوبِ التَّائِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ.

–قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا –:{مَنْ أيَّسَ عِبَادَ اللهِ مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدَ هَذَا؛فَقَدْ جَحَدَ كِتَابَ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ –}.(انْظُرْ:"تفسير ابن كثير":الزُّمر:٥٣).

•وَالتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْفَوْرِ:لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا وَلَا التَّسْوِيفُ بِهَا؛ لأنَّ اللهَ أمَرَ بِهَا وَرَسُولَهُ، وَأوَامِرُ اللهِ وَرَسُولِهِ كُلُّهَا عَلَى الْفَوْرِ وَالْمُبَادَرَةِ لأنَّ الْعَبْدَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَحْصُلُ لَهُ بِالتَّأْخِيرِ، فَلَعَلَّهُ أنْ يَفْجَأَهُ الْمَوْتُ

فَلَا يَسْتَطِيعُ التَّوْبَةَ، وَلأنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُوجِبُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ وَبُعْدَهُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعْفَ إِيمَانِهِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَزِيْدُ بِالطَّاعَاتِ وَيَنْقُصُ بِالْعِصْيَانِ، وَلأنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ يُوجِبُ إِلْفَهَا وَالتَّشَبُّثَ بِهَا، فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا اعْتَادَتْ عَلَى شَيءٍ صَعُبَ عَلَيْهَا فِرَاقُهُ، وَحِينَئِذٍ يَعْسُرُ عَلَيْهِ التَّخَلُّصُ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيَفْتَحُ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ بَابَ مَعَاصٍ أخْرَى أكْبَرَ وَأعْظَمَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ أهْلُ الْعِلْمِ وَعُلَمَاءُ السُّلُوكِ: إنَّ الْمَعَاصِيَ بَرِيدُ الْكُفْرِ يَنْتَقِلُ الْإِنْسَانُ فِيهَا مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً حَتَّى يَزِيغَ عَنْ دِينِهِ كُلِّهِ، نَسْألُ اللهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

•وَلِلتَّوْبَةِ شُرُوطٌ مِنْهَا:

(١)الْإِخْلَاصُ للهِ تَعَالَى.

(٢)الْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ.

(٣)النَّدَمُ عَلَى اقْتِرَافِ الذَّنْبِ.

(٤)الْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدَةِ إِلَى الذَّنْبِ.

(٥)الْعَمَلُ الصَّالِحُ بَعْدَهَا بِأنْ تُذِيبَ نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى كَمَا رَبَّيْتَهَا فِي مَعْصِيَتِهِ.

(٦)إِذَا تَعَلَّقَ الذَّنْبُ بِحَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الْعِبَادِ مِنْ مَالٍ أوْ عِرْضٍ أوْ نَفْسٍ فَلَابُدّ مِنْ رَدِّ الْمَظَالِمِ وَالْحُقُوقِ إِلَى أصْحَابِهَا فَإِنْ عَجَزَ أكْثَرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالاسْتِغْفَارِ لأصْحَابِ الْحُقُوقِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يُرْضِي عَنْهُ الْخُصُومَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَادَامَ قَدْ تَابَ تَوْبَةً نَصُوحًا وَعَزَمَ عَلَى رَدِّ الْمَظَالِمِ وَالْحُقُوقِ وَلَكِنَّهُ عَجَزَ.

–قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.(التَّحريم:٨).

–قَالَ الْإِمَامُ الْبَغَوِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:{وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهَا:

–قَالَ عُمَرُ وَأُبَيٌّ وَمُعَاذٌ:(التَّوْبَةُ النَّصُوحُ) أَنْ يَتُوبَ ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ، كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ

–قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا عَلَى مَا مَضَى؛ مُجْمِعًا عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِيهِ .

-قَالَ الْكَلْبِيُّ: أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ.

-قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : تَوْبَةً تَنْصَحُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ.

-قَالَ الْقُرَظِيُّ: يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ.}.(انتهى، من:"تفسير البغويّ" :١٦٩/٨) .



•ثَانِيًا:سَلَامَةُ الصَّدْرِ:

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَسْتَقْبِلُ بِهِ أهْلُ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ،فَسَلَامَةُ الصَّدْرِ مِنْ عَلَامَاتِ الإِيمَانِ بِأَنْ يَكُونَ قَلْبُ الإِنْسَانِ سَلِيماً؛ لأنَّ صَاحِبَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ هُوَ الَّذِي يَنْجُو يَوْمَ الدِّينِ،قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ(٨٨)إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.(الشُّعراء::٨٨-٨٩).

-وَسَلَامَةُ الصَّدْرِ نِعْمَةٌ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي تُوهَبُ لأهْلِ الْجَنَّةِ حِينَمَا يَدْخُلُونَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}.(الحجر:٤٧).

-فَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا اخْتِلَاف بَيْنَهُمْ،وَلَا تَبَاغُض، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، كَمَا جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ-رَحِمَهُ اللهُ-.

-وَالْمَقْصُودُ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ،سَلَامَةُ الْقَلْبِ،أيْ:طَهَارَتُهُ مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ لِلمُسْلِمِ ، فَهَذِهِ رَاحَةٌ وَنِعْمَةٌ ؛ وَلِذَلِكَ أَكَدَتْ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ، حَتَّى يَعِيشَ النَّاسُ فِي بَحْبُوحَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ،وَفِي سَلَامَةٍ وَعَافِيَةٍ،فَإِنَّ سَلَامَةَ صَدْرِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ مِنْ أَعْظَمِ الأَسْبَابِ لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ صَعْبَةٌ وَلَا شَكّ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يُحْسِنُ مُكَابَدَةَ اللَّيْلِ،وَقِيَامَ سَاعَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزِيلَ مِنْ قَلْبِهِ كُلَّ شَيءٍ فِيهِ عَلَى إِخْوَانِهِ، وَقَدْ وَصَفَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُم اللهُ- أخْلَاقَ أهلِ الْعِلْمِ فَقَالُوا مِنْ أَخْلَاقِ الْعَالِمِ: (لَا مُدَاهِنٌ، وَلَا مُشَاحِنٌ، وَلَا مُخْتَالٌ، وَلَا حَسُودٌ، وَلَا حَقُودٌ، وَلَا سَفِيهٌ، وَلَا جَافٌّ، وَلَا فَظٌّ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا طَعَّانٌ، وَلَا لَعَّانٌ، وَلَا مُغْتَابٌ، وَلَا سَبَّابٌ، يُخَالِطُ مِنَ الإِخْوَانِ مَنْ عَاوَنَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ، وَنَهَاهُ عَمَّا يَكْرَهُ مَوْلَاهُ، وَيُخَالِطُ بِالْجَمِيلِ مَنْ لَا يَأْمَنُ شَرَّهُ؛ إِبْقَاءً عَلَى دِينِهِ، سَلِيمُ الْقَلْبِ لِلْعِبَادِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ،

يَغْلِبُ عَلَى قَلْبِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ، فِي كُلِّ مَا أَمْكَنَ فِيهِ الْعُذْرُ، لَا يُحِبُّ زَوَالَ النِّعَمِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ، هَذَا دَأْبُ طَالِبِ الْعِلْمِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللهِ،وَالْمُتَمَسِّكِ بِالدِّينِ، هَذَا حَالُهُ ، وَهَذَا خُلُقُهُ).

–لَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَى الأَنْصَارِ لأَمْرٍ مُهِمٍّ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا }.(الحشر:٩). لَمَّا فَضَّلَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

–لَقَدْ كَانَتْ قُلُوبُ الأَنْصَارِ سَلِيمَةً لإِخْوَانِهِمْ، وَلَمْ يَعْتَرِضُوا عَلَى تَفْضِيلِهِمْ، وَلَمْ يَحْسُدُوهُمْ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَإِنَّمَا كَانَتِ الأَنْصَارُ كَمَا قَالَ اللهُ : {وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَة مِّمَّا أُوتُوا }، أيْ: مِمَّا أُوتِيَ إِخْوَانُهُم الْمُهَاجِرُونَ مِنَ الْفَضْلِ{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}لَوْ كَانَ بِهِمْ حَاجَةٌ مَعَ ذَلِكَ يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ.

–وَحَسْبُ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ أَنْ يَسِيرَ خَلْفَهُمْ،وَيَأْتَمَّ بِهِمْ فِي سَلَامَةِ الصَّدْرِ،وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ مِنَ اللَّاحِقِينَ مَنْ هُوَ مُؤْتَمٌّ بِهِمْ،

وَسَائِرٌ خَلْفَهُمْ،فَقَالَ اللهُ تَعَالَى{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ }.(الحشر:١٠).

–وَهَذَا دُعَاءٌ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّابِقِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَهَذَا مِنْ فَضَائِلِ الإِيمَانِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْتَفِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ،وَيَدْعُو بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، بِسَبَبِ الْمُشَارَكَةِ فِي الإِيمَانِ الْمُقْتَضِي لِعَقْدِ الأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي مِنْ فُرُوعِهَا أَنْ يَدْعُو بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَنْ يُحِبَّ بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

–وَلِهَذَا ذَكَرَ اللهُ فِي الدُّعَاءِ نَفْيَ الْغِلِّ عَنِ الْقَلْبِ، الشَّامِلِ لِقَلِيلِ الْغِلِّ وَكَثِيرِهِ الَّذِي إِذَا انْتَفَى ثَبَتَ ضِدُّهُ، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُوَالَاةُ وَالنُّصْحُ، وَنَحْو ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ حُقُوقِ الْمُؤمِنِينَ.

•وَإِلَيْكُمْ تِلْكَ النَّمَاذِجُ الْمُضِيئَةُ لِسَلَامَةِ الصَّدْرِ:

(١)أَخْرَجَ الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي صَحِيحِهِ–كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ–بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً بِرَقَمِ(٣٤٦١)مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ فَسَلَّمَ وَقَالَ إِنِّي كَانَ بَيْنِي

وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَقَالَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلَاثًا ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالُوا لَا فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي مَرَّتَيْنِ فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا}.

(٢)–وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي حِلْيَتِهِ–الْمُهَاجِرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ–عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ–مَحَاسِن أَخْلَاقِهِ وَحِلْمِه عَلَى مَنْ شَتَمَهُ،عَنِ ابْنِ بُرَيْدَة،قَالَ :{شَتَمَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :إِنَّكَ لَتَشْتِمُنِي وَفِيَّ ثَلَاثُ خِصَالٍ ، إِنِّي لَآتِي عَلَى الْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَوَدِدْتُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا أَعْلَمُ ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْحَاكِمِ مِنْ حُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ يَعْدِلُ فِي حُكْمِهِ فَأَفْرَحُ بِهِ وَلَعَلِّي لَا أُقَاضِي إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَإِنِّي لَأَسْمَعُ بِالْغَيْثِ قَدْ أَصَابَ الْبَلَدَ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَأَفْرَحُ بِهِ وَمَا لِي بِهِ مِنْ سَائِمَةٍ }.

(٣)–وَقَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ–رَحِمَهُ اللهُ–فِي "مَدَارِجِ السَّالِكِينَ ج٢ص:٣٢٩"عِنْدَ حَدِيثِهِ عَنْ مَنْزِلَةِ(الْفُتُوَّةِ):{وَمَنْ أَرَادَ فَهْمَ هَذِهِ الدَّرَجَةِ كَمَا يَنْبَغِي فَلْيَنْظُرْ إِلَى سِيرَةِ النَّبِيِّ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَعَ النَّاسِ يَجِدْهَا هَذِهِ بِعَيْنِهَا . وَلَمْ يَكُنْ كَمَالُ هَذِهِ الدَّرَجَةِ لِأَحَدٍ سِوَاهُ . ثُمَّ لِلْوَرَثَةِ مِنْهَا بِحَسَبِ سِهَامِهِمْ مِنَ التَّرِكَةِ . وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَجْمَعَ لِهَذِهِ الْخِصَالِ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ – قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ – وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ الْأَكَابِرِ يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنِّي لِأَصْحَابِي مِثْلُهُ لِأَعْدَائِهِ وَخُصُومِهِ .

وَمَا رَأَيْتُهُ يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَطُّ ، وَكَانَ يَدْعُو لَهُمْ .

وَجِئْتُ يَوْمًا مُبَشِّرًا لَهُ بِمَوْتِ أَكْبَرِ أَعْدَائِهِ ، وَأَشَدِّهِمْ عَدَاوَةً وَأَذًى لَهُ . فَنَهَرَنِي وَتَنَكَّرَ لِي وَاسْتَرْجَعَ . ثُمَّ قَامَ مِنْ فَوْرِهِ إِلَى بَيْتِ أَهْلِهِ فَعَزَّاهُمْ ، وَقَالَ : إِنِّي لَكُمْ مَكَانَهُ ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُسَاعَدَةٍ إِلَّا وَسَاعَدْتُكُمْ فِيهِ . وَنَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ . فَسُرُّوا بِهِ وَدَعَوْا لَهُ . وَعَظَّمُوا هَذِهِ الْحَالَ مِنْهُ . فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ . وَهَذَا مَفْهُومٌ }.

–فَيَا طَالِبَ النَّجَاةِ–رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكَ–كُنْ سَلِيمَ الصَّدْرِ وَاعْلَمْ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تُقْطَعُ بِالْقُلُوبِ .

-قَالَ اللهُ تَعَالَى:{يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}.(الشُّعراء:٨٩:٨٨).

-وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ}.(قٓ:٣٣:٣١).

-ثُمَّ تَأَمَّلْ هَذَا الْحَدِيث جَيّداً:رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاق فِي مُصَنَّفِهِ بِرَقْمِ (٢٠٥٥٩) بِسَنَدِهِ فَقَالَ :حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ:{يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ مِن هذا الفجّ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، قَالَ : فافَطَلَعَ رَجُلٌ مِنْ أهل تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ ، فسلَّم ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ : إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ، قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنَسٌ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنْ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا ، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ ، وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ ، وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ . قَالَ : فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي ، فَقَالَ : مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ}.(وَقَالَ الشَّيخ شعيب الأرنؤوط في تخريجه لـ " شرح السُّنَّة:" (١١٤/١٣) : إسناده صحيح ، وأخرجه أحمد ١٦٦/٣ . وقال في تخريجه لمسند الإمام أحمد (١٢٥/٢٠) : إسناده صحيح على شرط الشَّيخين،وَضَعَّفَ الحديث بعض أهل العلم لانقطاع بَيْنَ الزُّهريّ وأنس بن مالك واللهُ أعلم).

••فَأَهْلُ الْإيمَانِ يَسْتَقْبِلُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَالْعَفْوِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ

،فَمَنْ عَفَا عَنِ الْخَلْقِ عَفَا الْخَالِقُ عَنْهُ وَمَنْ رَحِمَ الْخَلْقَ رَحِمَهُ الْخَالِقُ،وَمَنْ غَفَرَ للخَلْقِ غَفَرَ الْخَالِقُ لَهُ مَعَ مُرَاعَاةِ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ.

–فَصَاحِبُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ هُوَ أفْضَلُ النَّاسِ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ ابْنُ مَاجَه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ بِرَقْمِ(٤٢١٦)مِنْ حَدِيثِ

عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا– قَالَ:قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟قَالَ:{كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ}.



•ثَالِثًا:اسْتِقْبَالُ الْمُوَدِّعِينَ الْمُغْتَنِمِينَ:

وَمِنْ أعْظَمِ مَا يَسْتقْبِلُ بِهِ أهْلُ الْإيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَهُ اسْتِقْبَالَ الْمُوَدِّعينَ الْوَجِلينَ الْمُغْتَنمين ،فَقَدْ عَلّمَ النّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلّمَ– أَصْحَابَهُ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم – أنْ يَسْتَقْبلُوا الْعِبَادَات اسْتِقْبَالَ الْمُودّعِين الْمُغْتَنمِين والدّلِيلُ عَلَي ذَلِك :

(أ) أَخْرَجَ الإِمَامُ ابْنُ مَاجَةَ–رَحِمَهُ اللهُ –فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الزُّهْدِ بَابُ الْحِكْمَةِ بِرَقْمِ(٤١٧١)عَنْ أَبِي أَيُّوبَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قَالَ :

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيّ –صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ – فَقَالَ :يَا رَسُولَ اللّه عَلّمْني وَأَوْجزْ قَالَ:{إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ وَأَجْمِعْ الْيَأْسَ عَمّا فِي أَيْدِي النّاسِ }.
(صحّحه الشّيخُ الألبانيُّ فِي السِّلْسلة الصّحِيحة برقم "٤٠١").

(ب)وَأَخْرَجَ الإمَامُ التِّرْمِذِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ –فِي سُنَنِهِ كِتَابُ الْعِلْمِ بَابُ مَاجَاءَ فِي الأَخْذِبِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ بِرَقَمِ(٢٦٧٦)

عَنِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ:إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:{أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ }.

•فَعَلَي كُلِّ مُسْلِمٍ إنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ وَبَلَّغَهُ رَمَضَانَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ اسْتِقْبَالَ الْمُوَدِّعِينَ الْمُغْتَنِمِينَ فَلَعَلَّهُ لايُدْرِكُ الشَّهْرَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ.



•رَابِعًا:اسْتِقْبَالُ الْمُسْتَبْشِرِينَ الْمَسْرُورِينَ:

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَسْتَقْبِلُ بِهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَهُ اسْتِقْبَالَ المُسْتَبْشِرِينَ الْمَسْرُورِينَ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ– صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ :

–فَقَدْ أَخْرَجَ الإمَامُ أَحْمَدُ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي مُسْنَدِهِ–مُسْنَدِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – بِرَقَمِ (٧٠٠٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ– رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–،قَالَ:لَمَّا حَضَرَ رَمَضَانُ،قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:{ قَدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ،شَهْرٌ مُبَارَكٌ،افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ،تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ،وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ،فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ،مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا ، فَقَدْ حُرِمَ }.

•وهَذه الْبشارَةُ منَ الْمُرغّبَات لاسْتقْبَالِ رمَضانَ اسْتقْبَال الْمُستَبْشرينَ الْمَسْرُورين،وَيكْفيك أَنْ تَعْلَمَ أَنّ الصَوم اخْتصّه اللهُ لذَاته جَلّ جَلالُه وَأَخْفَي ثوَابَهُ لأنّه تَعبُّدُ لله بالصّبْر وقَدْقَال اللهُ تَعالَي:{قُلْ يَا عِبادِ الّذينَ آمَنُوا اتّقُوا ربّكُمْ لِلّذينَ أَحْسَنُوا فِي هَذهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللّه وَاسعَةٌ إِنّمَا يُوفّى الصّابرُونَ أَجْرَهُم بغَيرِ حسَابٍ}.(الزُّمَر ١٠:).

–وَأَخْرَجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ– رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى –فِي صَحِيحه كِتَابُ الصّيَامِ بَاب فَضْلِ الصّيَامِ برَقَم(١٩٥١)عَنْ أَبِي صَالِحِ الزيّات ، أَنّهُ سَمعَ أَبَا هُرَيْرَةَ– رضيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ –،يقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّه – صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{قَالَ اللّهُ عَزّ وَجلّ :كُلُّ عَمَلِ ابْنِآدَمَ لَهُ إلّا الصّيَامَ،فَإِنّهُ لي وَأَنَا أَجْزِي به،وَالصّيَامُ جُنّةٌ،فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدكُمْ ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئذ وَلَا يَسْخَبْ،فَإِنْ سَابّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنّي امْرُؤٌ صَائمٌ ،وَالّذي نَفْسُ مُحَمّد بيَده لَخُلُوفُ فَمِ الصّائمِ ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللّهِ يَوْمَ الْقيَامَة منْ رِيحِ الْمِسْك، وَلِلصّائمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ،

وَإِذَا لَقيَ رَبّهُ فَرِحَ بِصَوْمِه }.

–إِضَافَةً لِفَضَائِلِهِ الْكَثِيرَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي مُقَدّمَةِ الرّسَالَةِ مِمَّا يَجْعَلُ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَسْتَقْبِلُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ اسْتِقْبَالَ

الْمُسْتَبْشِرِينَ الْمَسْرُورِينَ.



•خَامِسًا:تَعَلُّمُ أحْكَامِ الصِّيَامِ:

مِنْ أعْظَمِ مَا يَسْتَقْبِلُ بِهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ تَعَلُّمُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ أحْكَامِ الصِّيَامِ وَآدَابِهِ وَالْعِبَادَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهِ كَأَحْكَامِ زَكَاةِ الْفِطْرِ وَأحْكَامِ الاعْتِكَافِ وَأحْكَامِ الْعُمْرَةِ لِمَنْ يَسَّرَهَا اللهُ لَهُ فِي رَمَضَانَ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجَه–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِهِ وَصَحَّحَهُ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِ ابْنِ مَاجَه بِرَقَمِ(١٨٣)مِنْ حَدِيثِ أنسِ بْنِ مَالِكٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ– قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–:

{طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ}.

–قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي كِتَابِ(جَامِع بَيَانِ الْعِلْمِ)، بَعْدَ أنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ ذَكَرَهَا: {قَدْ أجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا هُوَ فَرْضٌ مُتَعَيَّنٌ عَلَى كُلِّ امْرِئٍ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَمِنْهُ مَا هُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ إذَا قَامَ بِهِ قَائِمٌ سَقطَ فَرْضُهُ عَنْ أهْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَاخْتَلَفُوا فِي تَلْخِيصِ ذَلِكَ.

–وَالَّذِي يَلْزَمُ الْجَمِيعَ فَرْضُهُ مِنْ ذَلِكَ: مَا لَا يَسَعُ الْإنْسَانَ جَهْلُهُ مِنْ جُمْلَةِ الْفَرَائِضِ الْمُفْتَرَضَةِ عَلَيْهِ، نَحْوَ: الشَّهَادَةُ بِاللِّسَانِ وَالْإِقْرَارُ بِالْقَلْبِ بِأنَّ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ، خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وَإلَيْهِ مَرْجِعُ كُلِّ شَيءٍ، الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ.

–وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ أهْلِ السُّنَّةِ أنَّهُ لَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ وَأسْمَائِهِ، لَيْسَ لأوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.

–وَالشَّهَادَةُ بِأنَّ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَخَاتَمُ أنْبِيَائِهِ، حَقٌّ، وَأنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْمُجَازَاةِ بِالْأعْمَالِ، وَالْخُلُودَ فِي الْآخِرَةِ لأهْلِ السَّعَادَةِ بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ فِي الْجَنَّةِ، وَلأهْلِ الشَّقَاوَةِ بِالْكُفْرِ وَالْجُحُودِ فِي السَّعِيرِ حَقٌّ، وَأنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ،وَمَا فِيهِ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِهِ وَاسْتِعْمَالِ مُحْكَمِهِ، وَأنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فَرْضٌ، وَيَلْزَمُهُ مِنْ عِلْمِهَا عِلْمُ مَا لَا تَتِمُّ إلَّا بِهِ مِنْ طَهَارَتِهَا وَسَائِرِ أحْكَامِهَا، وَأنَّ صَوْمَ رَمَضَانَ فَرْضٌ، وَيَلْزَمُهُ عِلْمُ مَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ وَمَا لَا يَتِمُّ إلَّا بِهِ، وَإنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَقُدْرَةٍ عَلَى الْحَجِّ لَزِمَهُ فَرْضًا أنْ يَعْرِفَ مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ وَمَتَى تَجِبُ وَفِي كَمْ تَجِبُ، وَيَلْزَمُهُ أنْ يَعْلَمَ بِأنَّ الْحَجَّ عَلَيْهِ فَرْضٌ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي دَهْرِهِ إنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً، إلَى أشْيَاءَ يَلْزَمُهُ مَعْرِفَةُ جُمَلِهَا وَلَا يُعْذَرُ بِجَهْلِهَا، نَحْوَ: تَحْرِيمُ الزِّنَا وَالرِّبَا، وَتَحْرِيمُ الْخَمْرِ وَالْخِنْزِيرِ وَأكْلِ الْمَيْتَةِ وَالْأنْجَاسِ كُلِّهَا وَالْغَصْبِ وَالرِّشْوَةِ عَلَى الْحُكْمِ وَالشَّهَادَةِ بِالزُّورِ وَأكْلِ أمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَبِغَيْرِ طِيبٍ مِنْ أنْفُسِهِمْ إلَّا إذَا كَانَ شَيْئًا لَا يُتَشَاحُّ فِيهِ وَلَا يُرْغَبُ فِي مِثْلِهِ، وَتَحْرِيمُ الظُّلْمِ كُلِّهِ، وَتَحْرِيمُ نِكَاحِ الْأمَّهَاتِ وَالْأخَوَاتِ وَمَنْ ذُكِرَ

مَعَهُنَّ، وَتَحْرِيمُ قَتْلِ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمَا كَانَ مِثْلَ هَذَا كُلِّهِ مِمَّا قَدْ نَطَقَ الْكِتَابُ بِهِ وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَيْهِ.

-ثُمَّ سَائِرُ الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ وَالتَّفَقُّهِ فِيهِ وَتَعْلِيمِ النَّاسِ إِيَّاهُ، وَفَتْوَاهُمْ بِهِ فِي مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهُوَ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ يَلْزَمُ الْجَمِيعَ فَرْضُهُ، فَإِذَا قَامَ بِهِ قَائِمٌ سَقَطَ فَرْضُهُ عَنِ الْبَاقِينَ، لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ، وَحُجَّتُهُمْ فِيهِ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}.(التَّوبة : ١٢٢).

-فَأَلْزَمَ النَّفِيرَ فِي ذَلِكَ الْبَعْضَ دُونَ الْكُلِّ، ثُمَّ يَنْصَرِفُونَ فَيُعَلِّمُونَ غَيْرَهُمْ، وَالطَّائِفَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: الْوَاحِدُ فَمَا فَوْقَهُ}.(انْظُرْ:"جامع بيان العلم وفضله"لابن عبد البرّ ص:٧:٥).



•سَادِسًا:الدُّعَاءُ:

مِنْ أَعْظَمِ مَا يَسْتَقْبِلُ بِهِ أَهْلُ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ الدُّعَاءُ،فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يُقَسِّمُونَ الْعَامَ إِلَى نِصْفَيْنِ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْعَامِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ فَإِذَا أَدْرَكُوا رَمَضَانَ صَامُوا نَهَارَهُ وَقَامُوا لَيْلَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا،وَسَارَعُوا فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ فَإِذَا انْقَضَى رَمَضَانُ فِي النِّصْفِ الْآخَرِ مِنَ الْعَامِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْهُمْ رَمَضَانَ.

-فَالدُّ عَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ وَقَالَ : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ بِرَقْمِ(٣٣٧٢)مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ:{ الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ :{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

-فَالدُّعَاءُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي حَثَّ عَلَيْهَا الشَّرْعُ وَرَغَّبَ فِيهَا، وَفِيهَا يَكُونُ الْعَبْدُ قَرِيبًا مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ فَفِي الدُّعَاءِ يَقِفُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ سَائِلًا حَاجَتَهُ مُتَوَسِّلًا إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ، مُثْنِيًا عَلَيْهِ بِلِسَانِهِ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

-وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

{الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ}، أَيْ: مِنْ أَجْلِهِ تَكُونُ الْعِبَادَةُ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ فِي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ يَكُونُ مُعْتَرِفًا بِكَمَالِ رُبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَيَكُونُ مُقْبِلًا عَلَى اللهِ مُعْرِضًا عَنْ غَيْرِهِ، يَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى لَا يَدْعُو أَحَدًا غَيْرَهُ مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ، مُسْتَعِينًا بِهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَوْلَهُ تَعَالَى:

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.(غافر: ٦٠)، أَيْ: اعْبُدُونِي، وَقِيلَ: اسْأَلُونِي؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللهِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ،وَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصَوْمٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، أَوْ دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ، وَهِيَ سُؤَالُ الْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَتَهُ، وَطَلَبُ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، أَيْ: أُثِبْكُمْ عَلَى عِبَادَتِكُمْ، وَأُعْطِكُمْ مَا تَسْأَلُونَ؛ {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ}، أَيْ: يَكُونُونَ مُتَكَبِّرِينَ عَنْ عِبَادَتِي وَدُعَائِي {سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، أَيْ: يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَعَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ؛ جَزَاءَ اسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ دُعَاءِ اللهِ وَعِبَادَتِهِ.

-وَفِي الْحَدِيثِ: الْحَثُّ عَلَى الدُّعَاءِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَالْوَعِيدُ الشَّدِيدُ جَزَاءَ الِاسْتِكْبَارِ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ وَدُعَائِهِ.

-فَإِذَا بَلَّغَ اللهُ تَعَالَى أَهْلَ الْإِيمَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ وَرَأَوْا هِلَالَهُ لَهَجَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالدُّعَاءِ الْوَارِدِ عَنْ رَسُولِ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ وَقَالَ:

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ بِرَقَمِ(٣٤٥١)مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ-رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ – أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –كَانَ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ قَالَ : { اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ}.

اسْتِقْبَالُ أَهْلِ الْإِيمَانِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ

•سَابِعًا:نَصِيحَةٌ وَاجِبَةٌ:

بَعْدَ أنْ بَيَّنْتُ كَيْفِيَّةَ اسْتِقْبَالِ أهْلِ الْإيمَانِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ أقَدّمُ لِنَفْسِي وَأحْبَابِي هَذِهِ النَّصِيحَةَ بِعُنْوَانِ:{احْذَرُوا أنْ تَتَخَطَّفَكُمُ الْفِيلَةُ فِي رَمَضَانَ}،فَإِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَنَحْنُ نَسْتَعِدُّ لاسْتِقْبَالِ مَوْسِمِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ وَشَهْرِ الْقُرْآنِ شَهْرِ الْمَغْفِرَةِ وَالْعِتْقِ مِنَ النّيرانِ شَهْرِ رَمَضَانَ احْذَرُوا جَمِيعًا أنْ تَتَخَطَّفَكُمْ الْفِيَلَةُ فِي رَمَضَانَ،وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ الْبَعْضُ وَمَاذَا تَقْصِدُ بِهَذَا التَّحْذِيرِ؟وَمَا الْمَقْصُودُ بِالْفِيَلَةِ هُنَا ؟وَمَا عِلَاقَتُهَا بِشَهْرِ رَمَضَانَ؟.

•فَالْجَوَابُ عَلَى هَذِهِ الاسْتِفْسَارَاتِ فِي هَذَا الْأثَرِ الَّذِي ذَكَرَهُ أبُو إسْحَاقَ الشّيرَازِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي(طَبَقَاتِ الْفُقَهَاءِ)(ص: ١٥٢–١٥٣) فِي (تَرْجَمَة يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى –):{رُوِيَ أنَّهُ كَانَ يَوْمًا عِنْدَ مَالِكٍ فِي جُمْلَةِ أصْحَابِهِ إذْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ حَضَرَ الْفِيلُ، فَخَرَجَ أصْحَابُ مَالِكٍ لِيَنْظُرُوا إلَيْهِ غَيْرَهُ. فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: مَا لَكَ لَمْ تَخْرُجْ، فَتَرَى الْفِيلَ؟ لأنَّهُ لَا يَكُونُ بِالْأنْدَلُسِ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى: إنَّمَا جِئْتُ مِنْ بَلَدِي لأنْظُرَ إلَيْكَ وَأتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِكَ وَعِلْمِكَ وَلَمْ أجِئ لأنْظُرَ إلَى الْفِيلِ، فَأُعْجِبَ بِهِ مَالِكٌ وَسَمَّاهُ عَاقِلَ أهْلِ الْأنْدَلُسِ}. وَذَكَرَهَا عَنْهُ جَمَاعَةٌ.

•وَذَكَرَهَا أيْضًا الْإمَامُ الذَّهَبِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي(السّيَرِ)، وَ(التَّارِيخِ) (تَرْجَمَة يَحْيَى اللَّيْثِيّ) فَقَالَ:{وَبَلَغَنَا: أنَّ يَحْيَى بْنَ يَحْيَى اللَّيْثِيَّ كَانَ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أنَسٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فَمَرَّ عَلَى بَابِ مَالِكٍ الْفِيلُ، فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ لِرُؤيَةِ الْفِيلِ، سِوَى يَحْيَى بْنِ يَحْيَى، فَلَمْ يَقُمْ. فَأُعْجِبَ بِهِ مَالِكٌ، وَسَألَهُ: مَنْ أنْتَ؟ وَأيْنَ بَلَدُكَ؟ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ بَعْدُ مُكْرِمًا لَهُ}.

•وَبِهَذَا أثَابَهُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِأنَّ الرِّوَايَةَ الَّتِي تُرْوَى الْآنَ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا الْمُعْتَمِدَةَ لِمُوَطَّأ الْإِمَامِ مَالِكٍ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– هِيَ رِوَايَةُ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–، مَعَ أنَّهُ مِنْ صِغَارِ طَلَبَتِهِ هُنَاكَ رِوَايَات أُنَاسٍ أكْبَرَ مِنْهُ لَمْ يُكْتَبْ لَهَا الْقَبُولُ، وَالْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي الصَّحِيحِ يَرْوِي مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

•لَقَدْ كَانَ لِيَحْيَى بْنِ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–هَدَفٌ وَهُوَ تَحْصِيلُ الْعِلْمِ فَلَمْ يَشْغَلْهُ الْفِيلُ وَلَمْ يَتَخَطَّفْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَي الْإِمَامِ مَالِكٍ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–حَتَّى صَارَتْ رِوَايَتُهُ لِمُوَطَّأ مَالِكٍ هِيَ الْمُعْتَمَدَةُ.

•فَاحْذَرُوا أنْ تَتَخَطَّفَكُمُ الْفِيَلَةُ مِنْ رَمَضَانَ وَتُبْعِدَكُمْ عَنِ اغْتِنَامِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَأعْمَالِ الْبِرِّ،وَالْفِيَلَةُ فِي زَمَانِنَا كَثِيرَةٌ مِنْ أفْلَامٍ وَمُسَلْسَلَاتٍ وَبَرَامِج،وَأغَانِي وَرَقْصٍ وَمُبَارَيَاتٍ وَقَنَوَاتٍ تَدْعُوا للرَّذَائلِ وَتُحَارِبُ الْقِيَمَ وَالْفَضَائِلَ،فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ إخْوَتَاهُ مِنْ هَذِهِ الْفِيَلَةِ،وَعَلَيْكُمْ أنْ تُحْسِنُوا اسْتِقْبَالَ رَمَضَانَ بِتَوْبَةٍ وَأوْبَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ،وَسَلَامَةِ صَدْرٍ،وَعَوْدَةٍ للقُرْآنِ تَلَاوَةً وَتَدَبُّرًا ، وَصِلَةٍ للرَّحِمِ،وَحُسْنٍ للجِوَارِ،وَنَفَقَةٍ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأصْحَابِ الْحَاجَاتِ،وَحُسْنِ مُعَامَلَةٍ بَيْنَ الْأزْوَاجِ ،وَاهْتِمَامٍ بِتَرْبِيَةِ الْأوْلَادِ،طَلَبًا للنَّجَاةِ وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ.

•اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا رَمَضَانَ،وَسَلِّمْ رَمَضانَ لَنَا،وَتَسَلَّمْهُ مِنَّا مُتَقَبَّلًا،

اللّهُمَّ بَلِّغْنَا رَمَضَانَ وَأَنْتَ رَاضٍ عنّا، وَنَسْأَلُكَ إنْ بَلَّغْتَنَا رَمَضَانَ أَنْ تُيَسِّرَ عَلَيْنَا صِيَامَهُ وَقِيَامَهُ إيمانًا وَاحْتِسَابًا، وَأَنْ تبلّغنَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَتَجْعَلْنَا فِيهَا منَ الْمَقْبُولِين، وَأَنْ تُفَرِّجَ كَرْبَ أُمّتنَا، وَأَنْ تُنَجِّحَ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُللهِ رَبِّ الْعَالَمِين .

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

كتب الشيخ في الموسوعة علي مكتبة نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

